ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 5 No.4 2021

التناص الديني ودلالته في رواية علي أحمد باكثير

(سلّامة القس أنموذجا)

RELIGIOUS INTERTEXTUALITY AND ITS SIGNIFICANCE IN THE NOVEL OF ALI AHMED BAKATHIR

(SALLAMA-TAL-QASS AS A MODEL)

* روبينة ناز [1] ** د. سمعية نازش [2] *** د. طاهرة جبين [3]

Abstract

Intertextuality is a modern rhetorical critical term and is a technique of contemporary literary expression and is termed differently by different researchers/scholars. It is the integration of discourses and the interaction and overlap of texts with each other. Intertextuality helps writers to integrate the fictional work with other fictional and non-fictional works and to depict social and intellectual issues with an aesthetic and artistic way.

Bakathir relied mainly on the phenomenon of intertextuality in narrating the events of his novel and building its characters. He was very interested in religion and religious discourse. There are several types of intertextuality in his fiction, most notably the use of Qur'anic intertextuality and the Prophetic hadith in his narration. He drew words and expressions from these pure resources i.e. the Holy Qur'an and the Noble Hadith.

This research aims to study intertextuality in the novel "Sallama-tul-Qass" by Ali Ahmed Bakathir, and focuses on religious intertextuality and its impact on enriching the novel's text and its chain of transmission. It comprised of and introduction, two chapters of date findings and analysis followed by conclusion. The introduction deals with the concepts of linguistic and idiomatic intertextuality, its types and forms. The first section attempts to reveal the external and internal manifestations of the Qur'anic intertextuality in the novel. The second section deals with the intertextuality of the hadith of the Prophet in the novel. The conclusion includes the most important findings.

Keywords: *Bakathir, Sallama-tal-Qass, religious intertextuality, internal and external intertextuality.*

المقدمة:

التناص مصطلح نقدي بلاغي حديث ويعد أداة من أدوات التعبير الأدبي المعاصر. وله مساحة واسعة في البحث والدراسة والنقد تحت مسميات مختلفة عند معظم الباحثين. فهو دمج الخطابات وتفاعل وتداخل النصوص بعضها في بعضها الآخر. ويساعد التناص على تكامل العمل الروائي ويكشف عن مجمل القضايا الاجتماعية والفكرية مع هدف جمالي وفني.

وقد ارتكز باكثير بشكل رئيس على ظاهرة التناص في سرد أحداث روايته وبناء شخصياتها. وكان يهتم كثيرا بالدين والشخصية الدينية. وللتناص أنواع عدة ومن أبرزها التناص القرآني والحديث النبوي الذي استخدمه علي أحمد باكثير في روايته. وقد استسقى الكلمات والتعابير من هذه العيون (القرآن الكريم والحديث الشريف) الصافية العذبة.

---

[1] - محاضرة في كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.
[2] - أستاذة مساعدة بكلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.
[3] - أستاذة مساعدة بكلية اللغة الانجليزية، الجامعة آزاد جمون وكشمير مظفر آباد.

Vol. 5 No.4 2021
ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022

يهدف هذا البحث إلى دراسة التناص في الرواية "سلالة القس" لعلي أحمد باكثير، ويركز على التناص الديني وأثره في أثراء النص الرواية وإسناده. ويشتمل على مقدمة ومبحثين إضافة إلى النتائج. فالمقدمة يتناول مفاهيم التناص اللغوية والاصطلاحية وأنواعه وأشكاله. والمبحث الأول يحاول كشف تمظهرات التناص القرآني الخارجي والداخلي في الرواية. والمبحث الثاني يتناول التناص الحديث النبوي في الرواية. والخاتمة تشتمل على أهم النتائج التي توصلنا إليه.

الكلمات المفتاحية: التناص الديني، باكثير، رواية سلالة القس، التناص الداخلي والخارجي.

التناص لغة:

ترد كلمة التناص عند ابن منظور في لسان العرب بمعنى الاتصال "يقال هذه الفلاة تناص أرض كذا وتواصيها أي يتصل بها"[1]. وتفيد الانقباض والازدحام كما جاء في تاج العروس "انتص الرجل: انقبض، وتناص القوم: ازدحموا"[2].

و"نصّ النص رفع الشيئ، نص الحديث ينصه نصا: رفعه وكل ما أظهر فقد نص، وقال عمر ابن دينار: ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري، أي أرفع له وأسند، ويقال نص الحديث إلى فلان، أي رفعه، ويقال: نصصت المتاع إذ جعلت بعضه على بعض"[3].

اصطلاحا: إن المصطلح (التناص) حديث التسمية من وضع المحدثين، أما له جذورا تاريخية احتوتها كتب النقد العربي القديم، فتعددت المسميات واختلفت ومنها: "الاقتباس، والتضمين، والأخذ، والسرقة، والسّلخ، والمسخ"[4].

والتناص أصبح أداة كشفية صالحة للتعامل مع النص وتوثيقه، وذلك في نص الحديث إلى صاحبه عن طريق متابعة صاحب الحديث لاستخراج كل عناصره حتى بلوغ منتاه[5].

فهو التبادل النصي[6]، أو بعبارة أخرى هو تداخل واستخدام النصوص التراثية المختلفة من قبل الشاعر أو الأديب بشكل فني[7].

أشكال التناص

يأتي التناص في الأعمال الأدبية على شكلين، التناص المباشر والتناص غير المباشر، فالأول عملية واعية بينما الثاني عملية لاشعورية[8]. وهناك أيضا من قال أن الأول هو التناص الشكلي بينما الثاني التناص المضموني[9]. فالتناص المباشر هو أن يقتبس الأديب لغته التي ورد فيها لفظا ومعنى، مثل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والقصص والحكم والأمثال. أما التناص غير المباشر فهو الذي يستنتج استنتاجا ويستنبط استنباطا من النصوص، "وهذا يقال بتناص الأفكار أو المقروء الثقافي أو الذاكرة التاريخية التي تستحضر تناصا تهابروحها أو بمعناها لا بحرفيتها أو لغتها أو نسبتها إلى أصحابها. وتفهم من تلميحات النص وإيماءاته وشفراته وترميزاته، ولهذا تستنبط استنباطا، وربما تخمن تخمينا، كما يدخل ضمن التناص غير المباشر تناص اللغة والأسلوب"[10]. وقد يكون التناص الوارد كلمة أو جملة ذات دلالة ما، تقود أو تدل على النص الذي اختزنت منه، وقد يكون بيت شعر أو جزء منه[11].

ذكرت جوليا كريستيفيان "فضاء متداخل نصيا، وأنه مجال لتقاطع عدة شفرات تجد نفسها في علاقة متبادلة، وامتصاص لنصوص متعددة ومن ثم هدمها"[12]. وعرفه مارك انجينو بأنه "كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى، وبهذا يصبح نصا في نص، تناصا"[13]. وعرفه أحمد الزعبي بقوله: "أن يتضمن نص أدبي ما، نصوصا وأفكارا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل"[14]. ويرى محمد مفتاح "أن التناص هو تحويل جذري للأصل، ليستجيب لروح الفنان الخاص"[15]. وقد بدأ استخدام هذا المصطلح في حوالي عام 1912م عندما بدأ براغ وبيكاسو إدخال مواد مثل قصاصات الجرائد وبطاقات التذاكر في رسومها لخلق تأثيرات تصميمية، ولكنه سرعان ما أصبح مصدرا شبه أدبي، لأن الشيء الخارجي لمطلق بات وحدة تعبيرية ذات دلالة تعبيرية مستقلة، ويرى أن كل اقتباس يمكن أن يعد جزءا من فن الملصقات[16]. ويرى محمد مفتاح أيضا: أن التناص يتخذ اتجاهين، اتجاها إجباريا نحو النصوص الأخرى، واتجاها عفويا يعتمد على ذاكرة المتلقي والمخزون الثقافي لديه[17]. قد اختلف النقاد في التسمية فمنهم من آثر استخدام لفظة "التناص" ومنهم من فضّل "التناصية" أو

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 5 No.4 2021

"النصوصية"، ومن الباحثين كمحمد بنيس من مال إلى تسمية المصطلح ب"التداخل النصي"[18]. ويرى آخرون أن التناص هو "التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى"[19]. فإن التناص في النقد الأدبي هو: تداخل وتفاعل النص الجديد بنصوص مختلفة بكيفية مايستفيد الأخير من النصوص الأولى أدبيا أو تاريخيا أو دينيا أو فكريا. وستناول الدراسة هذه النماذج بشئ من التفصيل.

القرآن الكريم هو منبع الأفكار والمبادئ. وقد وظف علي أحمد باكثير الآيات القرآنية في رواياته على مساحات واسعة. فهو كان مولعا بالآيات القرآنية والمفردة القرآنية والأحاديث النبوية لمالها من قوة قادرة "على إضاءة الشخصية وتحليل أفكارها وبلورة رؤاها"[20] فكثيرا ماوظّف هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على أشكالها المختلفة في رواياته.

التناص المباشر من القرآن

التناص المباشر هو اجتزاء قطعة من النص السابق ووضعها في النص الجديد بعد مقدمة مناسبة التي تجعلها تتلاءم مع الموقف الجديد. وينقسم التناص المباشر إلى قسمين، وهما:

أ-التناص الكلي

ومن أمثلته مايأتي:

النص	النص الغائب
"جميلة المغنية قد وردت إلى هذا البلد الأمين ونزلت عند جيران سهيل، وقد شغلتني عن صلاتي بغنائها وباطلها"[21].	﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾[22].

جاءت جميلة المغنية إلى مكة المكرمة ونزلت عند جيران أبي الوفاء. وشغلته عن صلاته بغنائها. فطلب من عبد الرحمن أن يتكلم الوالي في شأنها حتى يأمر بإخراجها من هذا البلد الأمين. والبلد الأمين: مكة المكرمة التي كرمها الله، بالبيت الحرام. والذي شرفه الله بميلاد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا البلد آمن من أعدائه ومأمون من فيه. تأثر باكثير من تلك الآية وتناص معها فوضع خلال نصه وعبر أهمية البلد وشرفه.

النص	النص الغائب
"وهذا الشيخ أبو الوفاء يسلم من صلاة النفل ويدعو: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"[23].	﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[24].

بعد صلاة الصبح قد رجع بعض الناس إلى بيوتهم، وبقي بعضهم في المسجد يذكرون الله ويتلون القرآن، ومنهم من يطوف بالكعبة. وإذا طلعت الشمس أخذ الناس يتنفلون. وبعد صلاة النفل دعا أبو الوفاء، وطلب من الله الحسنة والعافية في الدارين. والحسنة في الدنيا: العلم والمعرفة والرزق الطيب، والحظ والنصيب، والحسنة في الآخرة هي الجنة أو رؤية الله تعالى يوم القيامة. فقد وصف السارد صورته وضرب لذلك مثالا من قوله تعالى.

النص	النص الغائب
"وسرعان ما استحال صوتها ترجيعا وغناء وهي تتلو: والضحى والليل إذا سجا، ماودعك ربك وما قلى، وللآخرة خير لك من الأولى"[25].	﴿والضحى والليل إذا سجى ماودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى﴾[26].

سلّامة تحب الغناء وتترنم دائما أما سيدتها طلبت منها تلاوة القرآن بدلا من الأغنية حتى إذا سمع مولاها سرّ منها. فشرعت سلّامة وتقرأ سورة الضحى إذا استحال صوتها إلى الغناء. وأخذت تقرأ القرآن على النغمة. فقد استفاد باكثير من عدد من الآيات القرآنية من سورة الضحى ويعبر من خلالها عن الحالة الشعورية لها.

Vol. 5 No.4 2021
ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022

النص	النص الغائب
"وقد أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يعوذ به من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس"[27].	﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[28].

حاول أبو الوفاء أن يمنع صاحبه الشاب الناسك عن مجالس اللغو والغناء. ونصحه إلى انقطاع عن دار ابن سهيل والتوبة والرجوع إلى الله. وإذا تاب المؤمن تاب الله عليه. وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر لقراءة المعوذتين عند وسواس الشيطان. وإن هذا الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور البشر، قد يكون من الجنة وقد يكون من الناس. وقد استفاد باكثير من النص القرآني ليكشف من خلال هذا النص رؤيته للقيم والمثل وسمو مكانته.

النص	النص الغائب
"وقال لها عبد الرحمن: لعلك تذكرين قول الله تعالى الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" [29].	﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[30].

حين انقطع كل أمل سلّاية في صيرورة إلى عبد الرحمن. فهي حزنت والدمع يترقرق في عينيها. فقال لها عبد الرحمن إن الأمل قد انقطع في هذه الحياة الدنيا، أما في الحياة الأخرى فإن الأمل باق وإنه لأمل كبير. أي كل صداقة وخلة فإنها تنقلب في ذلك اليوم إلى عداوة إلا ما كانت في الله وفي سبيله، فإنها تبقى في الدنيا والآخرة. قد وصف السارد من خلال هذه الآيات الكريمة الأمل والرجاء والتسلية وتخفيف الحزن، كما أظهر باكثير براعة فائقة في التعامل والتمثل للنصوص القرآنية.

ب-التناص الجزئي

النص	النص الغائب
"أحس بدف لذيذ أغراه بالعودة إلى فراشه ريثما يطلع الفجر الأول... وتذكر أنه لم يكمل تلك الليلة حزبه من القرآن، فاستعاذ بالله من الشيطان، ورمى لحافه عنه بقوة"[31].	﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[32].

استيقظ عبد الرحمن لصلاة التهجد ونهض عن فراشه وفتح شبكة غرفته. وأخذ ينظر إلى الخارج إذ شعر بتيار من ريح الشتاء البليلة يتسرب إلى غرفته. فأراد أن يعود إلى فراشه حتى مطلع الفجر الأول وأحس بالنعاس يداعب جفنيه، وأيقن أنه سيفوت عليه صلاته وكذلك تذكر أنه ما قرأ القرآن تلك الليلة. فقرأ الاستعاذة وقام إلى أداء الصلاة وقراءة القرآن.

وهنا العلاقة التناصية إلى النص الديني الذي يتحدث أن الله سبحانه وتعالى أمر الإنسان بالاستعاذة عند قراءة القرآن حتى لا يعرضه الشيطان فيصده عن تدبره والعمل بما فيه. أراد عبد الرحمن القيام إلى الصلاة وقراءة القرآن. فاستعاذ بالله من وساوس الشيطان الرجيم حتى لا يمنعه ويصده من العمل الصالح.

النص	النص الغائب
"كان همها أن ينشأ ابنها الوحيد عالما فقيها... وكانت تدعو الله في صلاتها أن يحقق لها هذا الأمل، فاستجاب الله دعوتها"[33].	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[34].

إن الله سبحانه وتعالى خبير بأحوال الناس، وسميع لأقوالهم، ويرى أعمالهم، فيجيب دعوة الداعين ويجازيهم بأعمالهم، وإجابة الدعاء: تقبل الله ممن أخلص له وفزع إليه، وإنه قريب من عباده بعلمه ورحمته وقدرته وإجابته لسؤالهم. وأجيب دعوة من يدعوه بالطاعة والإخلاص والتوجه. كانت أم عبد الرحمن إمرأة صالحة وربت ابنه على التقوى والعبادة وحببت إليه حب الإسلام والدين. وتدعو الله دائما بالإخلاص والتوجه والطاعة أن ينشأ ابنها عالما فقيها وأن يبارك في رزقه وعلمه وهدايته. فحقق الله أملها واستجاب دعائها حتى لقب أهل مكة ابنها "القس" وكان اسمه القس عنوانا للشاب العفيف الناشئ في عبادة الله والفقيه في الدين. السارد استثمر ألفاظا من الآية الكريمة لتأكيد رأيه.

النص	النص الغائب

Vol. 5 No.4 2021
ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022

"فلما دنا من المسجد رأى الناس يدخلون إليه أفواجا من أبوابه المختلفة".	﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[35].

يدخل الناس في دين الله فوجا بعد فوج، ويضمون تحت لواء النبي صلى الله عليه وسلم جماعات لا أفرادا وتحقق له نصر الله، وعونه، وفتحت له مكة، وتحققت له الغلبة، وانتشر دينه. وقد جاء نص الرواية استشهادا بالآية الشريفة على دخول الناس المسجد لأداء صلاتهم.

النص	النص الغائب
"يا بنية إن أبي لك شيطانك إلا أن تغنّى فغنّي بكلام الغاوين من الشعراء"[36].	﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾[37]. ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[38].

أخذت سلامة تقرأ سورة الضحى وحين وصلت إلى (ولسوف يعطيك ربك فترضى...) عادت إلى نغمتها الغنائية وطفقت تكرر هذه الآيات على مذهب الشعر، وخلال ذلك جاء أبو الوفاء ويستمع إليها. فغضب وصاح أنه علمناها القرآن لتترك الغناء فذهبت تتغنين بالقرآن. وقال لها إن هي لا تستطيع ترك الغناء فغني بكلام الشعراء، ولكن لا تصنعي ذلك بكلام رب العالمين.

والغاوون: جمع غاو وهو الضال عن طريق الحق. والشعراء هم في أنفسهم غاوون، المائلون إلى الفساد الذي يجر إلى الهلاك، والذين يتبعونهم من البشر، كل غاو ضال فاسد. وهم المنحرفون عن الصراط المستقيم، وعن جادة الحق والاستقامة. فاقتبس باكثير مصطلح "الغاوون" من تلك الآيتين أسلوبا ومعنى.

النص	النص الغائب
"ذلك الظن بالله يا بني وهو خير الغافرين"[39].	﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾[40].

تكلم عبد الرحمن وأبو الوفاء عن ابن سهيل الذي يقضي ليله ونهاره في مجالس الشعراء، وينفق عليهم من ألوان الطعام والشراب، فدعا أبو الوفاء لمغفرته وتوبته. وخشي أنه عاتبه على معصية الله ويبكي. وعبد الرحمن يقول له: إن الله غفور الرحيم فيغفره على خطاياه. تناص باكثير مع هذه الآية لفظا ومعنيا.

النص	النص الغائب
"اعلمه أن النفس أمارة بالسوء، وأن ملاك التقوى الابتعاد عن مواطن الشر والفرار من أماكن الريبة"[41].	﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[42].

اجتهد أبو الوفاء بكل قوته وجهده أن ينصرف عبد الرحمن عن السبيل المخوف بالخطر لكنه خالفه وآثر جانب الهوى على جانب التقوى. وعندما ابتلي بحب سلامة تذكر نصيحة أبي الوفاء. وحزن على سلوكه وعدم عمل برأيه. وتذكر أن أبا الوفاء يعرف مكامن الخطر ومراتع الغي.

(إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) أي إن النفس البشرية لكثيرة الأمر بعمل السوء، لما فيها من دواعي الشهوات الجسمية والأهواء النفسية، بما ركب فيها من القوى والآلات لتحصيل اللذات، وما يوسوس الشيطان ويزينه لها من النزغات. وفي هذا الكلام نوع تزكية لنفسه، وإن الله كثير الغفران وكثير الرحمة، لمن يشاء أن يغفر له ويرحمه من عباده. ففي هذه الآية علاقة اتصالية لفظية ومعنوية بما ورد في نص باكثير. تناص باكثير مع هذه الآية اجترارا واقتباسا لفظا ومعنى.

النص	النص الغائب
"فأجابه ابن أبي عتيق: نعم للخليفة، فاصبر يا بني وفوض أمرك إلى الله"[43].	﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[44].

خرج عبد الرحمن وابن سهيل إلى مجلس سلامة في المدينة المنورة. وقد بدأت سلامة تغني فسكت الناس ويستمعون إليها. وغلب الوجد عبد الرحمن حتى يغشى عليه. وحين أفاق من غشيته نادى سلامة بصوت مرتعش هيا يا سلامة نرجع إلى مكة، فأخبره ابن أبي عتيق قد بيعت سلامة ليزيد بن عبد الملك، ونصحه للصبر وتفويض أمره إلى الله. أي توكل على ربه وفوض إليه أمرك واستعين به ليعصمك من كل سوء وحزن.

Vol. 5 No.4 2021
ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022

قد ظهرت العلاقة الاتصالية بين الآية ونص الرواية، حيث اقتبس باكثير منها لفظا ومعنا ووضع في نصه أن الصبر و تفويض الأمر إلى الله هو أحسن ومن أغلى النصيحة لمن أراد أن يحيا سليما.

التناص غير مباشر من القرآن الكريم

النص	النص الغائب
"وقال له عبد الرحمن: خفض عليك يا عم.. إنك غير مسؤل عن عمله" [45].	﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [46].

باع أبو الوفاء سلّالة لابن سهيل. فتبدلت حياتها، ووجدت عنده البيئة الصالحة لنمو مواهبها وأداء وظيفتها في الحياة. وكان يعقد ابن سهيل لها مجالس الغناء في داره، فتشهدها الطبقات المختلفة من الشعراء، والمغنين، ومحبي الشعر والغناء. وعندما عرف أبو الوفاء عنها، فحزن أنه عان ابن سهيل على معصية الله. فقال عبد الرحمن له: لا تؤخذ بإثم غيرها.

ومن عصى الله فعلى نفسه، ولا تحمل نفس ذنوب نفس أخرى، فكل انسان اكتسب إثما بكفر أو معصية فعليه وزرها، ولا يحمل على الإنسان وزر غيره. تناص باكثير مع هذه الآية واقتبس منها التي وردت من قبله أسلوبا ومعنى.

النص	النص الغائب
"ويقضي نهاره في المسجد يذكر الله أو يتلو القرآن أو يشهد مجالس العلم، معرضا عن الدنيا، صادفا عن باطلها وغرورها" [47].	﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [48].

تذكر عبد الرحمن ماضيه وأيامه الصافية إذا كان راضي النفس، ينام مطمئنا ويقوم من نومه مطمئنا. ويجالس العلماء والصالحين بعيدا عن اللغو والغناء ومدارج الفتن. فكان معرضا عن الدنيا وباطلها وغرورها.

الدنيا هي متاع الغرور وأن العيش فيها يغر الإنسان من اللذاتها طول البقاء، ويشتغل بطلب الآخرة، ولم يعمل لآخرته، حتى أعجبته واعتقد أنه لا دار سواها، ولا معاد وراءها، مع أنها حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة. أشار باكثير أن الدنيا واللذاتها باطل وغرور. ووردت هذه نقطة في سورة آل عمران، ودلت الآية الكريمة أن الدنيا ومتاعها حقيرة وقليلة بالنسبة إلى دار الآخرة.

النص	النص الغائب
"إن الشيطان قد يئس من هذه البلدة الطاهرة فجاء أهلها من طريق الغناء" [49].	﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [50] ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ [51].

جاءت جميلة المغنية إلى مكة المكرمة وأقيمت لها مجالس الغناء، فخاف أبو الوفاء أن تفسد فتيان مكة وطلب من عبد الرحمن أن يتكلم الوالي في إخراجها، فهذه البلدة طيبة تشتمل على كل من خيرات، والله ربكم الذي أعطانا هذه النعم، وهو رب واسع المغفرة والرحمة، ويعفو عن كثير من ذنوب عباده بفضله وإحسانه. ومن هذه النقطة تناص باكثير مع هذه الآية وتأثر به، فوضع خلال نصه.

النص	النص الغائب
"وكان شديدا على نفسه أن يقطع بيده عرى الصداقة المتينة التي ربطت بينه وبين الشيخ الصالح برهة من الزمان قضياها في تقوى الله، وتعاونا فيها على البر والإحسان" [52].	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [53].

Vol. 5 No.4 2021
ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022

كان عبد الرحمن فقيها والناس يأخذون عنه في أمور دينهم، وكذلك يعتبروه أبو الوفاء عوناه في فعل الخير والاحسان. أما انقطع هذه الصداقة بينهما بسبب سلّاية، فيذكر عبد الرحمن أيامه الماضية ويحزن.

دعا الله تعالى إلى التعاون على كل ماهو الخير والبر وطاعة الله ومنع على التعاون على ارتكاب الآثام. ومن تعاون على الطاعات والخيرات فقد تمت سعادته وعمت نعمته. دلت الآية على التعاون في الخير والبر والاحسان. تناص باكثير مع هذه الآية فوضع خلال نصه أن الصالحين يتعاونون في البر والخير والإحسان، ولايتعاونون على الإثم والعدوان.

النص	النص الغائب
"لأنك نقضت ميثاقي" [54].	﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [55].

صنع عبد الرحمن شعرا رائعا في سلاية وأخذ منها ميثا قاغليظا أن لاتنشدى لمولاها، فهي وضعت لها لحنا وأنشدت لمولاها وعندما عرف عبد الرحمن سخط عليها ورفض أن يؤتيها أبيات أخرى. أخذ باكثير الكلمات من الآية الكريمة ووضع خلال نصه.

النص	النص الغائب
"والله إني لأحبها حبا فالقاكبدي، وما منعني أن أشكو بثّي إليك إلا حيائي منك" [56].	﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [57].

عرف ابن سهيل حب عبد الرحمن لسلّاية، فعرضها عليه هبة على شدة تعلق بها أما أبي عبد الرحمن أن يرزأ صديقه في ماله الذي وقع في ضيق. واعتزم في نفسه للحصول على سلاية. واجتهد في الكسب وكذلك باع ماله الذي ورثه من أبيه، وجاء به إلى ابن سهيل ليشتري به سلاية، أمالايحقق أمله لأنه قد باعها الرجل من المدينة. وقد منع عبد الرحمن حياءه أن يقبل عرضه أو يشكو حزنه وهمه إليه. تأثر باكثير من تلك الآية الكريمة وتناص معها فوضع خلال نصه.

النص	النص الغائب
"واستيقظت فيهما ذكريات الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه، وجهادهم في سبيل الله حتى ظهر دينه على الدين كله" [58].	﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [59].

عاد عبد الرحمن إلى عمله واجتهد حتى جمع من مال مايستطيع به أن يشتري سلّاية وعزم على السفر إلى المدينة، ولما وصل المدينة استيقظت فيه ذكريات الرسول صلى الله عليه وسلم وجهاده لغلبة دين الله. وذكر أن الله أرسل محمد اصلى الله عليه وسلم بالدين الحق والقرآن والحجة والبرهان ليعليه على سائر الأديان. وقد غلب الإسلام على جميع الأديان.

التناص المباشر من الحديث النبوي

النص	النص الغائب
"يستمع الناس إلى أحد العلماء وهو يقول:... عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. فأبشروا أيها الناس إنكم من خير القرون" [60].	وحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَزْهَرُ بْنُ سَعْدٍ السَّمَّانُ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » [61].

بعد صلاة الصبح رجع بعض الناس إلى بيوتهم أو إلى عملهم وبعضهم بقوا في المسجد يذكرون الله ويطوفون بالكعبة أو يتلون القرآن. وأشار الكاتب إلى حلقات الدرس، والناس يستمعون إلى أحد العلماء الذي يتحدث عن حديث الرسول، وينصح الناس أن الله سبحان وتعالى جعلهم من خير القرون فعليهم أن يقوموا خير القيام بطاعته. والذي يخالف كتاب الله وسنة

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 5 No.4 2021

رسوله فسوف يحاسب الله حسابا عسيرا على عمله. ومعنى (خير القرون قرني)، أن الأفضلية للقرن الذي بُعث فيه الرسول صلى الله عليه وسلم. تأثر باكثير من هذا الحديث الشريف وتناص معه فوضع خلال نصه أن خير القرون القرن الذي بعث فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الذي يليه.

النص	النص الغائب
"فأمر عبد الرحمن يده على جبينه قائلا: أجل يا عم قد بلغني ذلك فاغتممت لأمره ولا حول ولا قوة إلا بالله"[62].	قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله". [63]

جاءت المغنية إلى مكة المكرمة ونزلت عند ابن سهيل فحزن أبا الوفاء وتكلم مع عبد الرحمن، فأجاب عبد الرحمن به أن لا حيلة ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله إلا بتوفيقه، وكل شئ يجري بحكمه وعلمه وقدرته وقد يئس الشيطان من هذه البلدة الطيبة فيحاول أن يأتي إلى أهلها من طريق الغناء. واتكلم مع الوالي عن اخراجها أما القدرة والطاقة ففي يد الله.

النص	النص الغائب
"إني ما كنت أفكر في الزواج حتى عرفتك يا سلامة ففكرت فيه، وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: النكاح سنتي، فمن رغب عن سنتي فليس مني". [64]	حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الأَزْهَرِ، حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ مَيْمُونٍ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- " النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي[65].

تكلم عبد الرحمن مع سلامة أن الإسلام دين العدل والوسطية، وتشريعاته تغطي جميع جوانب الحياة بتوازن واعتدال، ورفض عن التشدد والتعمق والغلو في الدين وفي العبادات. واعترف أن بعد لقائها فهم آيات السموات والأرض والنجوم وكذلك حكمة الله في اختلاف الناس. و أنه يخرج إلى السوق للعمل، ويكسب مالا كثيرا ويشتريها من مولاها ثم يعتقها ويتزوجها، والنكاح سنة الرسول صلى الله عليه وسلم. فتناص باكثير مع هذا الحديث الشريف ووضعه خلال نصه أن النكاح من سنة الرسول.

النص	النص الغائب
"وروي ابن سهيل لصديقه قوله عليه الصلاة والسلام في أحد: هذا جبل يحبنا ونحبه". [66]	وَهَذَا أُحُدٌ، وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ[67].

لما وصل المدينة استيقظت فيهما ذكريات الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه وجهادهم في سبيل الله. وعند أحد روي ابن سهيل به حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فجاشت نفسه بصور من المعاني وقصر عنه عقله ولسانه، وشعر في تلك اللحظة كأن أحد ليس جبلا بل مخلوق حي يتنفس ويشعر.

صعد النّبي صلى الله عليه وسلم إلى أُحد مع أبي بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، هيبة وفرحا واستبشارا، ولا يتصوّر عظم هذا الأمر إلا من رأى هذا الجبل الضخم الشامخ، فيتخيل كيف اهتز واضطرب لصعود النبي صلى الله عليه وسلم عليه. ومن ثم تظهر كذلك قدرة الله- فقال صلى الله عليه وسلم مخاطبا جبل أحد: (اثبت أحد). تأثر باكثير من هذا الحديث الشريف وتناص معه بوعيه الفني ووضعه خلال نصه.

التناص غير مباشر من الحديث النبوي.

النص	النص الغائب

Vol. 5 No.4 2021
ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022

" قالت: أو أعترف أنا بالغناء فأعلمها إياه؟ أما تتوّى يا رجل في كلامك فتقول خيرا أو تصمت"؟[68].	وَمَن كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْلِيَصْمُتْ[69].

تقرأ سلّاتة القرآن على النغمة الغنائية فسمع أبو الوفاء وصاح بصوت عالي وغضب عليها وكذلك نادى أم الوفاء باللهجة القاسية أنها علمتها هذه القراءة وهي تتغنى بأبيات الشعر. فهي قالت له فتقول خيرا أو تصمت. فمعناه أنه إذا أراد أن يتكلم فليتكلم بخير، أويُمسِك عن الكلام، فتقل السارد مفهوما المتن الأصلي بتصريف.

النص	النص الغائب
"وكانت سلاتة قد بدأت تغني، فسكت الناس كأنما على رءوسهم الطير يستمعون إليها"[70].	"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْر"[71].

كانت سلاتة قاعدة على الكرسي في فناء واسع في دار ابن رمانة. ودخل الناس أفواجا وغص المكان بالحاضرين وجميعه يتكلمون عنها. وحين بدأت تغني فسكت الناس، كأنما على رؤوسهم الطير وهذه كانت صفة مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير. تأثر باكثير من الحديث الشريف وتناص معه فوضع خلال نصه أن الناس يسكتون إلى غناء سلّاتة كأن على رؤوسهم الطير.

النتائج:

- التناص الديني في رواية علي أحمد باكثير هو تداخل النصوص الدينية في الرواية حيث يتأثر باكثير منها، سواء على شكل مباشر لفظا ومعنى، أو على شكل غير مباشر مضمونا.
- تبين لنا هذه الدراسة لرواية "سلّاتة القس" صلة الكاتب بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، وتأثره من القيم الدينية الإسلامية، فالآيات الكريمة والأحاديث النبوية تتلألأ في روايته كالنجوم الزاهرة.
- احتوت رواية علي أحمد باكثير على عدد كبير من الآيات الكريمة، وكان هدف باكثير من وراء هذا التوظيف الديني إلى بيان صراع بين قوي الخير وقوي الشر في كل زمان ومكان ولابد من الثورة على الشر مهما كانت قوته، وتحقيق الحياة الكريمة لنفسه.
- قام علي احمد باكثير بتحوير النصوص الغائبة في روايته عبر الاستبدال والزيادة والنقص، ليجعلها مناسبة للفكرة التي يريد التعبير عنها، وهي تصوير ملحدث في الواقع المعاش.
- إن حضور النصوص الغائبة الكثيرة وتداخلها في سرد روايته زادت الحيوية والحركة عليها، ودفعت المتلقي إلى الربط بين الماضي والحاضر، وكأنه يعيش في الزمنين معا.

الهوامش:

[1]-ابن منظور، لسان العرب، ج/15، (بيروت–دار إحياء التراث العربي، ط/1، 1988م) ص:327.

[2]-الزبيدي، محمد المرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ج/18، (بيروت–دار الهداية، 1979م) ص:181.

[3]-ينظر: الزبيدي، المرتضى، تاج العروس، ج/18، ص:179.

[4]-ينظر: العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق: مفيد قميحة، (بيروت، لبنان، ط/2، 1984م)، ص:217 – 257. وأيضا: القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1985م)، ص:411-438.

[5]-ينظر: عبد المطلب، محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، (الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط/1، 1995م)، ص:136.

[6]-ناهم، أحمد، التناص في شعر الرواد، (القاهرة، دار الآفاق العربية، 2007م) ص:19.

[7]-سليمي، علي، وطهماسي، عبد الصاحب، التناص القرآني في الشعر العراقي المعاصرة، (مجلة إضاءات نقدية، 2012م)، ص:82.

[8]-الجعافرة، ماجد ياسين، التناص والتلقي، دراسات في الشعر العباسي، (الأردن، دار الكندي، 2003م)، ص:15.

[9]-فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، (القاهرة، مكتبة الآداب، 2009م)، ص:198.

[10]-الزعبي، أحمد، التناص نظريا وتطبيقيا، (عمان، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، 2000م)، ص:20.

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 5 No.4 2021

[11] -الحجافرة، ماجد ياسين، التناص والتلقي، دراسات في الشعر العباسي، ص:15.

[12] -كريستيفان (جوليا) علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، (دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط/1، 1991م)، ص:78-79.

[13] -تودوروف، وآخرون، في أصول الخطاب النقدي الجديد، ترجمة: أحمد المديني، (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط/1، 1987م)، ص:102.

[14] -الزعبي، أحمد، التناص، نظرياوتطبيقيا، (الأردن، مكتبة الكتاني، ط/1، 1995م)، ص:9.

[15] -مفتاح، محمد، مشكاة المفاهيم، النقد المعرفي والمثاقفة، (الناشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط/1، 2000م)، ص:171.

[16] -كورك، جاكوب، اللغة في الأدب الحديث، الحداثة والتجريب، ترجمة ليون يوسف وعزيز عمانوئيل، (دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1989م)، ص:93-94.

[17] -مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط/3، 1992م)، ص:120.

[18] -بنيس، محمد، ظاهرة الشعر المعاصر في الغرب، (بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1985م)، ص:179.

[19] -عبد المطلب، محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، (الشركة المصرية العالمية للنشر، ط/1، 1995م)، ص:147.

[20] -الشوابكة، محمد علي فاضل، توظيف التناص في متاهة الأعراب في ناطحات السراب، (الأردن، مؤتة للبحوث والدراسات، ج/1، عدد/2، 1995م)، ص:16.

[21] - أحمد باكثير، علي، سلاّمة القس، (مصر-دار مصر، د-ت)، ص:18.

[22] -سورة التين- 3.

[23] - أحمد باكثير، علي، ص:17.

[24] -سورة البقرة- 201.

[25] - أحمد باكثير، علي، ص:38.

[26] -سورة الضحى- 1-4.

[27] - أحمد باكثير، علي، ص:80.

[28] -سورة الناس- 5-6.

[29] - أحمد باكثير، علي، ص:175.

[30] -سورة الزخرف- 67.

[31] - أحمد باكثير، علي، ص:4.

[32] -سورة النحل- 98.

[33] - أحمد باكثير، علي، ص:5.

[34] -سورة البقرة- 186.

[35] -سورة النصر- 2.

[36] - أحمد باكثير، علي، ص:41.

[37] - سورة الشعراء- 94.

[38] - سورة الشعراء- 224.

[39] - أحمد باكثير، علي، ص:48.

[40] -سورة الأعراف- 155.

[41] - أحمد باكثير، علي، ص:107.

[42] -سورة يوسف- 53.

[43] - أحمد باكثير، علي، ص:164.

[44] -سورة الغافر- 44.

[45] - أحمد باكثير، علي، ص:48.

[46] -سورة النجم- 38.

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 5 No.4 2021

[47] - أحمد بكشير، علي، ص:107.

[48] - سورة آل عمران - 185.

[49] - أحمد بكشير، علي، ص:18.

[50] - سورة سبا - 15.

[51] - سورة النمل - 91.

[52] - أحمد بكشير، علي، ص:85.

[53] - سورة المائدة - 2.

[54] - أحمد بكشير، علي، ص:94.

[55] - سورة البقرة، 27

[56] - أحمد بكشير، علي، ص:117.

[57] - سورة يوسف - 86.

[58] - أحمد بكشير، علي، ص:153.

[59] - سورة التوبة - 33.

[60] - أحمد بكشير، علي، ص:16.

[61] - النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج/4، (دار إحياء التراث العربي - بيروت) ص:1963.

[62] - أحمد بكشير، علي، ص:18.

[63] - البخاري، محمد بن إسماعيل، ج/5، (دار طوق النجاة، ط/1، 1422ه-)، ص: 133.

[64] - أحمد بكشير، علي، ص:102.

[65] - القزويني، ابن ماجة، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج/1، (دار إحياء الكتب العربية)، ص:592.

[66] - أحمد بكشير، علي، ص:153.

[67] - النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج/2، (دار إحياء التراث العربي - بيروت)، ص:1011.

[68] - أحمد بكشير، علي، ص:41.

[69] - البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج/8، (دار طوق النجاة، ط/1) ص:11.

[70] - أحمد بكشير، علي، ص:159.

[71] - الأزدي، أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج/4، (المكتبة العصرية، صيدا - بيروت)، ص:3.